الريشة الزرقاء



كتب مترجمة (٢)
مكتبة الطفل
دار ثقافة الاطفال



ثمن النسخة داخل العراق ٦٥٠ فلسا
خارج العراق [redacted] فلسا

دار الحرية للطباعة - بغداد



ترجمة : احمد مصطفى احمد

رسوم : اثير ساطع

«الريشة الزرقاء» صبي مـن الهنود الحمـر .. نشـأ يتيم الأبوين،فقـد تعرَّض والداه الى حـادثة أودت بحياتِهمـا معـا ، وكان عمـره آنذاك لا يتجاوز ثلاث سنوات ، فأخذه جـدُّه الذي لم يكُن له غيره ، وكان صـياداً ماهِراً .

أُخذ الجدُّ يحكي لحفيدِهِ عن أيامِ صَـيْدِه .. وكانَ «الريشـة الزرقـاء» يحلم أنْ يكون صياداً ، وهو يكبر يوماً بعدَ يوم .. وعِندما كان جدّه يحكي له عن الأعداد الكبيرة من الدِّببة والثعالب وأسود الجبال والأرانب التي

كان يصيدها كان «الريشة الزرقاء» يتخيَّل نفسهُ وهـو يصطاد اكثر بكثير مما يَصطاده جدّه ..

وعندما أصبح صَبياً .. كان يركض مَعَ الأطفال الذين يستقبلون آباءهم العائدين مِنَ الصيد .. لكنه كان يقف لينظر مِـن بعيد ، بينمـا ينسـاه الصبيان وهم يجتمعونَ حـولَ ابائهـم،ويقبلّون مَعَهـم الحيوانات التي اصطادوها ..

وبَقـي «الريشـة الزرقـاء» يحلمُ ويحلمُ ويحلمُ .. وذاتَ يومٍ ، وضَـعَ «الريشة الزرقاء» قلنسوة الفرو على رأسهِ ، وتناولَ بيدهِ بُندقيته الصغيرة، وخرَج مُسرِعا من البيت .



كانتْ وجهتُه الغابةَ المجاورةَ لمخيّم قبيلتهِ الهندية . قَطَع «الريشة الزرقاء» الأرض الجرداء التي تفصل المخيم عن الغابة ، بزَمن قصير جداً ، وهو الذي أعتاد ان يقطعها بساعات في الأيام الاعتيادية ، وفي سيره السريع الى الغابة ، كان «الريشة الزرقاء» يحلمُ ان يرى نفسَه صياداً كبيراً ماهِراً .

وكان يقولُ : سَيرى الجميعُ هذا اليومَ كيفَ سأكونُ صياداً ، فسأحصل على جِلد ؛ جِلد أيل ، وعلى جُلود أرانب عديدة ، وسأحصل مِن كل لون على أثنين .

وعندما تشاهدني صديقتي «الهندية الصغيرة» ستصابُ بالدهشةِ وتهتف،وهي تصفقُ بيدِها قائلةً : «المجدُ «للريشة الزرقاء»،المجدُ للصيادِ الشّجاع !»



سَمعَ «الريشة الزرقاء» صوتَ تكسّر الأعشابِ خلفه التفت الى الوراء ، فشاهدَ الصبيّةَ الصغيرة ، تسترق النظَر اليه خلسة مِن بين الأدغال ، وهيَ تُحاولُ أنْ تكتم ضحكة أُطلقتها ببراءة،عِندما لمْ تنجح في كتمِها ، وقالتْ ضاحكة : «هاها .. هاها على الرغمِ مِن ملابس الصيدِ التي ترتديها ، فأنت لا تبدو صياداً» .

تألم «الريشة الزرقاء» مِن سُخرية صديقتهِ الصغيرةِ وشعرَ بالغيظ فقالَ : «كلا ، سأكونُ أعظم صياد في هذهِ البلاد . وسأصطادُ بِبَبةً كثيرةً وإذا لم تُصدقيني فهو ذنبك وليس ذَنبي . والآن أنا ذاهب للصيدِ ، وسأصطادُ مِن الدِببةِ والثعالبِ والأرانبِ والغِزلانِ ما يجعلكِ تندمين على قولك هذا» .

بعدَ انْ سَمِعت الفَتاةُ الصغيرة كلامَ «الريشة الزرقاء» وأحسّتْ بحماسةِ وغَضَبهِ وهو يتكلمُ، تراجعتْ عن موقِفها السابق، وسألت بحماس: «أصحيحٌ ما تقول؟»

ثمَّ قفزتْ مِن وراءِ الأدغالِ قَفَزاتٍ سريعةً بأتجاهِ الصيادِ الصغيرِ، وقالتْ بصوت يدلُّ على الاحترام:

ـ «هَلْ تُعطيني واحداً مِن فِراءِ الثعالبِ التي ستصطادها لأعملَ مِنهُ وسادةً لي؟»



نَظَرَ الصيادُ الصّغيرُ بخيلاء الَى الفتاةِ، وقالَ بلهجةِ الكِبارِ: نعَمْ.. أعِدكِ بذلك.. ولكنْ عليك أنْ تَعديني بأن لا تَسخَري مِن أحَدٍ قَطْ».

أجابت الصغيرةُ: «أعدكَ أيها الصيادُ الشجاع!»

ثم أُخذت تدور حولَ نفسها وهي تُصفق بيدِها وتقولُ: «وأخيراً.. سيتحقق حُلمي في الحصول على وسادة مِن فِراء الثعالب.»



قالَ الريشةُ الزرقاء بلهجة آمرَة ، وقد أزدادَ احساسه بأهميته : «حَسَن .. والآن عليكِ أنْ تعودي الى البيت .. انتظريني هُناك وسيكونُ مَعي فِراءُ الثعلبِ الذي تَحلمينَ به .»

أنطلق الصياد الصغيرُ الى الغابة ، وأخذت الصغيرة تلوّح له بيدها ، والفرْحة تكاد تطفِر مِن عَينيها الى أن اختفى عن أنظارها فاستدارت وأطلقت ساقيها للريح بأتجاه المخيم .



توغل الريشة الزرقاء في الغابة ، وهو يقولُ في نفسه : «سأنصِبُ خمسة فِخاخ ، أربعة مِنها صغيرة لأربعةِ ثعالب صِغار ، وأما الفَخ الكبيرُ الخامسُ فسيكونُ مِن أجلِ ثعلبٍ كبير ، يصلحُ فِراؤهُ وِسادةً لصديقتي الهندية الصغيرة .»



اختارَ الصّيادُ الصغيرُ مكانا في الغابة لنصبِ فِخاخِه . وبينما هو ينصِبُ الفَخّ الأول ، إذا بحيوان صغير لا يعرفُهُ ، أحمر اللونِ وذي بطـن أبيض وأذنينِ سوداوين ينتصب أمامه ويسأله قائلاً : «ماذا تفعل ؟»

أجاب الصغيرُ ومِن دُون أنْ يُكلفَ نفسه النظـر الى السـائِل : «أنَصـب فِخاخا للثعالب» واستمر يواصلُ عمله .

قَفز الحَيوان في الهواءِ عندَ سَماعه جوابَ «الريشـة الزرقـاء»:«أتمنى لك التوفيق».خَرَجت الكلمات بصعوبة مِن بينِ أسنانه المطبقة على بعضِـها .

لقد كانَ هو نفسهُ ثعلباً !



أخذ الثعلب يدورُ حولَ «الريشة الزرقاء» وهو يُلاحـظُ بدقـة مـا يفعله الصغيرُ ، الذي لم يكنْ رفعَ رأسه حتى الآنَ .

قال الثعلبُ : «هلْ سَبَقَ لكَ أنْ شاهدْتَ ثعلبا ؟»

أجابَ الصـيادُ : «كلاّ .. ولكنني سـأشاهِد الكثيرَ وسـأصطادُ العـديد منهـا !»

وبعدَ أنْ انتهى الصغير مِن نَصب الفَخ الأول نهض مِن مكانه ونَظر الى الثعلب وقَال : «بَقيت أربعةُ فِخاخ سأنصِبُها في أماكن أخرى .»

قَال الثعلبُ : «هلْ تُمانع في أن أرافقك لأتعلّمَ مِنك كيفَ تُنصب الفِخاخ ؟ ! فأنا أريد أن أصطاد شيئا في المستقبل !»

وتَبعَ الثعلبُ الصيادَ الصغيرَ ليرى أين سينصب بقية الفِخاخ .

خاطبَ "الريشة الزرقاءُ" الثعلب وهو ينصبُ الفخ الأخير قـائلاً : «أنظرْ الى هذا الفَخ،انه يختلف عن الفخاخ السابقةِ .. إنه أكبرُ مِنها جميعاً وقد جلبته خاصة مِن أجل أنْ أصطاد بوساطته ثعلباً كبيراً .»

-«كبير الى اي حَد ؟ بحجمِك مَثلا ؟ !» سألهُ الثعلبُ وهو يُخفي أبتسـامةً ماكرة .

أجاب «الريشة الزرقـاء»: «نَعَـم .. بحجمـي .. ولا بأس إن كانَ أكبر قليلاً . ولكنْ ياصاحبي لا أخفي علَيك أن هناك مُشـكلة وحيدة تُواجهُني ، وهي كيفَ سأفتح هذا النوعَ مِن الفِخاخ بعدَ ان تُطبق على الفريسة ! ؟»

قالَ الثعلبُ : «لا تشغلْ نفسكَ بهذا ، فأنا أعرفُ» .

هتَفَ «الريشة الزرقاءُ» فَرَحاً : «عظيم .. مـا عادتْ هناك مُشـكلة إذنْ .. سأراك بعدَ قليل .»





ذَهَب الصغيرُ ليتفقدَ الفَخ الأول وما أنْ اختفى عن أُنظـار الثعلب حتى سارعَ الأخيرُ الى تبديلِ مكانِ الفَخ،وجعله على بُعد خُطوتين مِن مـكانه الأول .

وغَطاه بأدغال صغيرةٍ وحشائشَ يابسة،ثم قعَد على بُعـد خـطوات مِنهُ ينتظرُ !

وكانَ الثعلبُ يقولُ في نفسه وأبتسامة ماكرة على شَفَتيْه : «سنَرى مَـنْ يَصطاد مَنْ !»



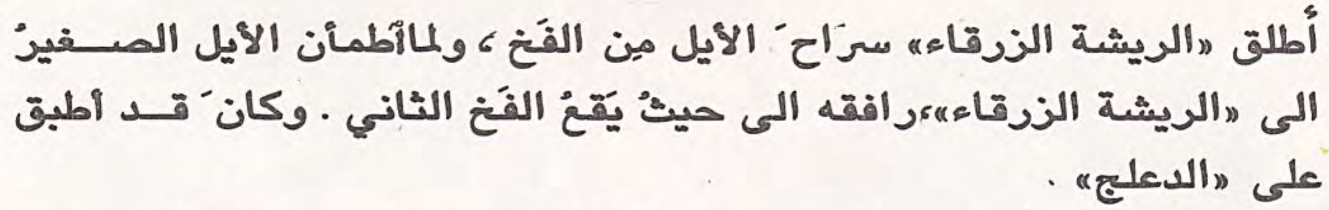
مكثَ الصّيادُ الصغير خَلفَ شجرةٍ تقَع بالقربُ من مَـكان الفَـخ الأول ، ولمْ يَطُل مكوثه،حتى قَدم أيلٌ صغيرٌ ووقَع في الفَخ .

خَرجَ الصّيادُ الصغير من خَلف الشجرة ، وتقدم مِـن الأيلِ الذي أخـذ بالبكاء عِندما شاهدَهُ،وقالَ :

ـ «ما الذنبُ الذي اقترفته بحقكَ حتى تُوقع بي ؟ إن والدتي ســتقلق عليَّ كثيراً ، وعِندما تعثر عليَّ سوفَ تُوبخني أكثر» .

رقّ قلبُ الصّياد الصغير للأيل وقالَ : «لا تقلق سأطلق سراحَكَ ، لأني لا أرغبُ في جِلد أيل،فليسَ فيهِ من الفِراءِ ما يكفي حاجتي ، وفي الحقيقة أنا أرغبُ في فِراء الثعالب .»





أطلق «الريشة الزرقاء» سراحَ الأيل من الفخ ، ولما اطمأن الأيل الصـغيرُ الى «الريشة الزرقاء»،رافقه الى حيثُ يقعُ الفَخ الثاني . وكانَ قـد أطبق على «الدعلج» .

كان الدعلجُ يصرخُ ويبكي،ويدورُ داخل الفَخ ، بحثاً عن طريقٍ للخـروج، ولكن من دون جَدوى .

قالَ «الريشة الزرقاء»: إذا توقفت عن العويل والصراخ فسأخلصكَ مِـن هذا الفَخ .»

-«شُكراً لكَ .. شكراً لكَ أيها الصبي الطيّب القلب !»

قالَ الدعلجُ ذلكَ،وهو يُحاول أنْ يَستعيدَ هدوءه .

وبعدَ أنْ حرره الصيّاد الصغيرُ من الفخ قالَ :

«لقد عَادتْ لكَ حُريتك الآنَ .. اطمئن فأنا لا أعتقد بوجـود أحـد يرغب في صُنع وِسادة من جلد دَعلج .»

ومضى الأيل والدعلج برفقةِ «الريشة الزرقاء» لتفقّد الفَخ الثالثِ ، فوجدوه على حالِهِ ، خاليا من أي شيء . لكنهم سَمعوا صوتَ بُكاءٍ واستغاثة :

- «النجدة .. ساعدوني .. دعوني أخرج مِن هذا المكان .»

كان مَصْدرُ الصوتِ قادماً مِن جهة الفخ الرابع، الذي لم يكنْ يبعد كثيراً عنْ مكانِ الفَخ الثالث .. أسرع الثلاثة : «الريشة الزرقاء» والأيل والدعلج لنجدةِ المستغيث .. ووجدوا دُباً صغيراً، أشعثَ الشعر قَدْ وقع في الفخ الرابع .

توقّف نَظَرُ الدب الصغير عِند «الريشة الزرقاء» وقالَ بلهجة الاستعطاف : «ساعِدني أرجوك .. خلّصني من هذا المأزق !»

في البداية تردد «الريشة الزرقاء» في تقديم العَونْ الى الدب الصغير فخاطبه قائِلاً : «أنا لا أُعرف شيئاً عنكَ ، إذ لم يسبق لي أن شاهدتُ حَيواناً مِثلك مِن قبلُ .. ومَعَ ذلكَ فأنا أُعتقد إن جِلدك يصلحُ أن نصنعَ مِنهُ وسادةً جميلة .»

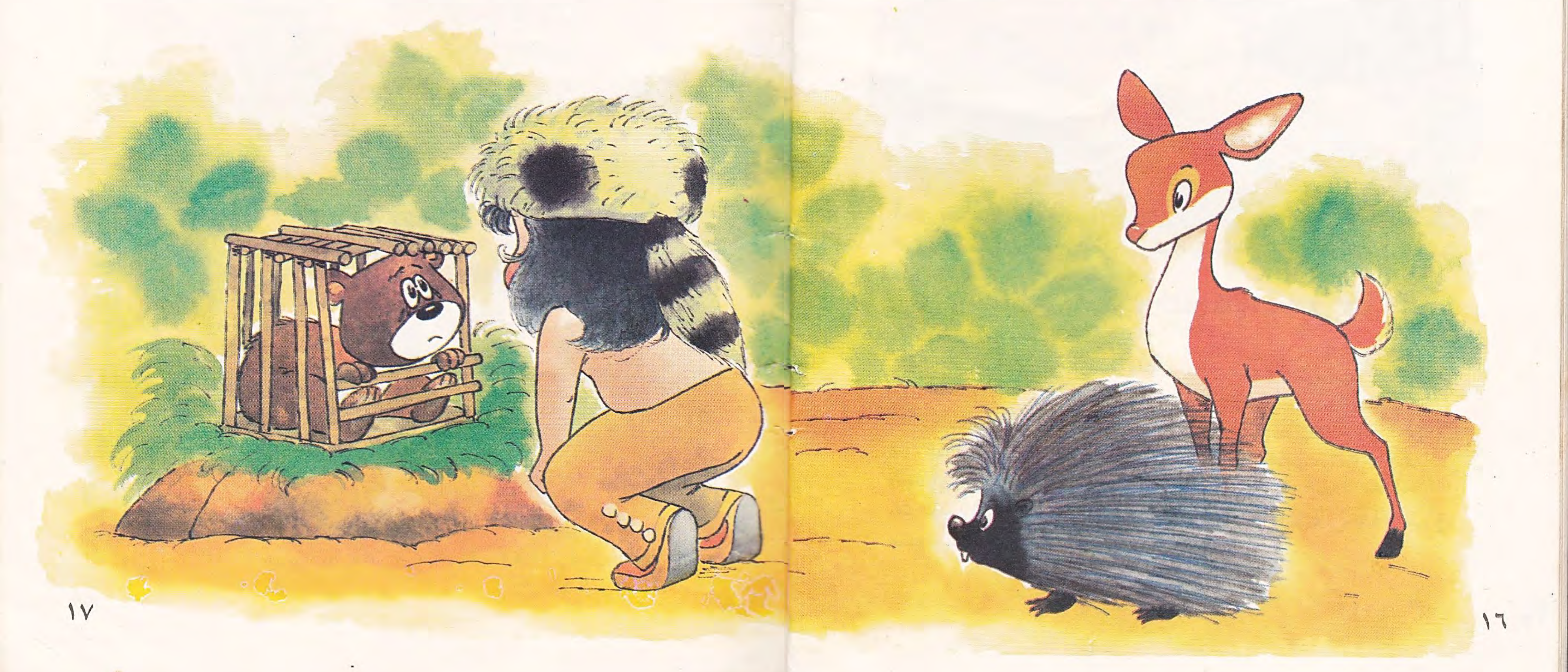
صرخ الدب الصغير عند سماعه كلام الريشة الزرقاء وازداد توسلا وقال :

- «لا .. لا تفكر هكذا ارجوك .. ان جلدي لا يصلح لصنعِ وسادة فهو دَبِقٌ انظر .. انه ملطخٌ بالعسل .» ..

وكان الدَب الصغير صادقاً في كلامه .. فجِسمه قد لطّخه العسلُ من قمةِ رأسِه حتى أخمص قَدَميه .

قال «الريشة الزرقاء»: أنت على حق .. فمِثل هذا الجلد لا يصلح أن تُصنع منه وسادة. ثم إنك صغيرُ السن كما تبدو !

ثم تقدّم من الفخ وأُطلق سراحَ الدب الصغير ، ومشى الأصدقاء الأربعة



لتفقد الفَخ الأخير .. توقفوا خَلفَ دغلٍ،وأخذوا يختلسون النظر من خلاله الى المكان الذي نُصب فيه الفخُّ الكبيرُ . شاهدوا الثعلبَ قاعداً في مكان الفخ القديم .

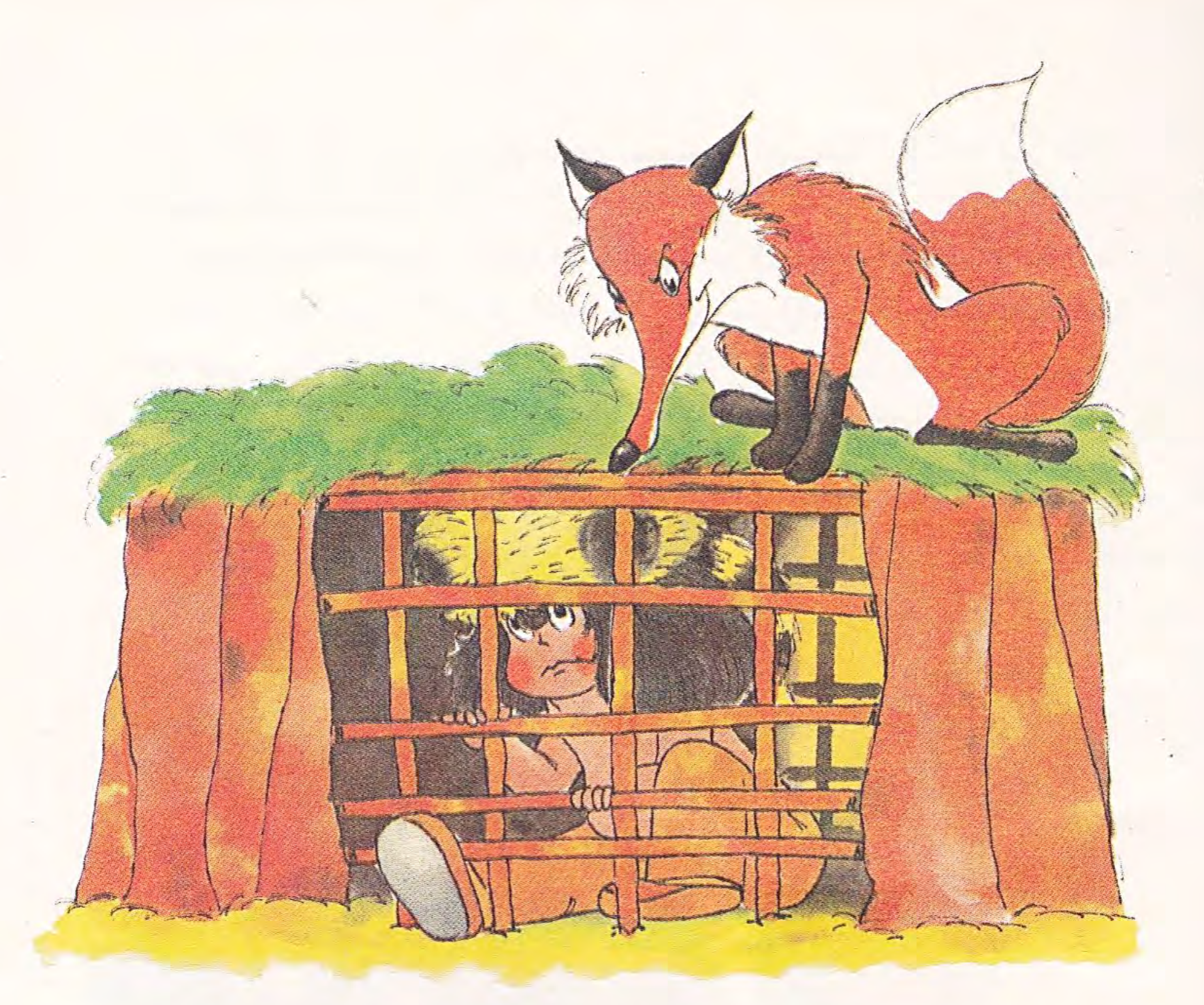
همس الأيل في أذن "الريشة الزرقاء" قائلاً :

«لقد أمسك بثعلب !»

سأل الصياد الصغيرُ والدهشة تكاد تعقد لسانه :

«هلْ ذلك الحيوان ثعلب ؟» ثم ركض باتجاهه من غير أن ينتظر الجواب. وقبل أن يَصل الى الثعلب انطلق صوتُ الفخ:"طراق".. وأطبقَ على الصيادِ الصغير .





تقدَّمَ الثعلبُ من الفخ وقال ضاحِكاً : «كيف ترى نفسك الآن وأنت في الفخ ؟»

أجاب الصغير : «أنا لا أُحب هذا النوع من المزاح .. أرجوك دعني أخرج !»

قال الثعلبُ:«أنا أُمزح مَعَك ..! ها .. ها .. ها .. ها .. كيف تعقلُ هذا ؟ ألم تنصب الفخاخَ من أجل صَيد الثعالب ؟ لقد سبقتُكَ أنا وأوقعتُكَ في الفخ الذي نصبتَه لي»

قال الأصدقاء ، الأيل والدُّب الصغير والدعلج بصوت واحد : «دَعْه يخرج .. فهوَ صديقُنا».

أجاب الثعلب : « صديقكم أنتم ، نعمْ .. لكنه ليس صديقي أنا .. فقد كانَ يُريد أن يصنع من فرائي وِسادة !»

ثم هَجم عليهم فهرَب الأصدقاء الثلاثة في عِدة اتجاهات،وهم لا يعرفون ماذا يفعلون من أجل صديقهم الصيّاد الصغير الطيِّب .

أخذ الدُّبُ الصغيرُ يصرخُ بأعلى صوته : «ماما .. ماما أين أنت ؟ أرجوك تعالي بسرعة .»

سمعتِ الدبة الأم نداء ابنها،فانطلقت تعدو في الغابة باتجاه مصدر الصوت .. وما هي إلاّ دقائق قليلة حتى وصلتِ الأم حيثُ يقفُ ابنها الدب الصغير .. وكانت دبةً كبيرةً رمادية اللّون ..

عندما شاهدَ الثعلبُ الدبةَ الأم مقبلة عليه حاول أنْ يهربَ،غيرَ أنها سدّت الطريقَ بوجهه، وقبضت عليه من كتفيه وقالت بغضب : «ماذا تصنع بصديق ابني ؟» .



نظرَ الثعلبُ الأحمرُ الى الدبة بفزع شديد ، وقال :

– «أنا لا أريد به شرّا .. كُنت أمزح معَه .. واعتقد ابنك غير هذا .. دعيني قليلاً ، وسأفتح له الفخ .. انظري !»

أمسك الثعلب بيده بابَ الفخ ورفعه الى أعلى، فتحررَ الصيّادُ الصغيرُ من المصيدة .. غير انه أخذ في البكاء !

قالت الحيوانات : «لقد تحررت من الفخ ، وأصبحت طليقا ، فلماذا تبكي ؟»





هز «الريشة الزرقاء» رأسه بحزن شديد ، وهو مستمر في البكاء : «هيء .. هيء .. أنا لم أمسك بثعلب ، ولهذا فأنا لست صياداً ماهراً ! آه .. ماذا سأقول لصديقتي «الهندية الصغيرة» عندما تسألني عن الفِراءِ الذي ستصنع منه وسادة لها ؟ لقد وعدتها وها أنا غير قادرٍ على الوفاءِ بوعدي .. لاشكَّ انها ستُصاب بالحزنِ والخيبةِ ، فحلمهَا بوسادةِ الفراءِ افسده فشلي ، وأنا متأكدٌ انها تعودُ وتسخرُ مني ثانيةً وانا لا أحتمل سخريةَ أحد» .

عندما سمع الثعلبُ الأحمرُ الصغيرُ ذلك رق قلبُه كثيراً وأحبّ «الريشة الزرقاء» أكثر ، فقال : «لقدْ أصبحَ الأمرُ في غاية البساطة الآن .. أنا أقبل أن أكونَ وسادةً للفتاةِ الصغيرة .. سأنام الليل الطويل ، حتى انني لن أحرّك اذني !»

ارتاح الصياد الصغير لفكرة الثعلب وعادت له ابتسامتُه .

عادَ «الريشة الزرقاء» أدراجه الى المخيم ، يرافقه الثعلبُ الأحمرُ ، وهما متلازمان يداً بيد ، ويغنيان معاً . كان الصيادُ الصغيرُ يفكر بوسادة الصبية الهندية ، أما الثعلب فكان يفكر بالبسمةِ الجميلةِ ، على فمِ «الهنديةِ الصغيرةِ» ، وبالفرحِ الكثير ، الذي سيظهر على وجه صديقهِ الصياد الصغير الطيّب : «الريشة الزرقاء» .





الجمهورية العراقية ص. ب (١٤١٧٦) هاتف (٧٧٦٠٦٢١)
تلكس (٢٦٠٦)
TLX2606
Children's Culture House
المدير العام: فاروق سلوم
مدير التحرير: شفيق مهدي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٦٩ لعام ١٩٨٥
توزيع: الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

دار الحرية للطباعة - بغداد